أزمة الهويات الجديدة وسرديات ما بعد الحداثة

The crisis of new identities and postmodern narratives

نور الصباح عكنوش

جامعة بسكرة، الجزائر، ahmed.messaoudi@univ-biskra.dz

تاريخ الإرسال: 2021/03/15 **تاريخ القبول:** 2021/03/23 **تاريخ النشر:**2021/04/01

ملخص:

يتماهى موضوع الهوية مع مستويات تداخل وتفاعل ازماتية تعيد طرح إشكاليات الذات والآخر في جدلية مفتوحة على علامات إستفهام لا متناهية أنتجتها سرديات خطاب العولمة المفكك لمراكز التحليل التقليدية والذي يعيد بناء فضاءات جديدة مؤثرة في بنية وبيئة المجتمعات الدول في سعيها لإعادة إكتشاف حقيقتها أمام مرآة الواقع الذي تحيط به نحن وهم وما بينهما من هوامش الحضور في اللحظة التاريخية والفكرية والبنائية التي تستدعينا , وهو ما نحاول تلبيته عبر هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: *هوية؛ بناء؛ عولمة؛ أزمة؛ مستقبل.*

Abstract:

La question de l'identité s'identifie à des niveaux de crise et d'interactions qui représentent les problèmes de soi et de l'autre dans une dialectique ouverte aux interminables points d'interrogation produits par les récits du discours disjoint de mondialisation des centres d'analyse traditionnels, qui reconstruisent de nouveaux espaces d'influence la structure et l'environnement des sociétés, les états dans leur effort pour redécouvrir leur vérité devant Un miroir de la réalité que nous et eux et ce qui est entre eux sont entourés par les marges de présence dans le moment historique, intellectuel et constructif qui nous appelle, qui nous essayons de nous rencontrer à travers ce document de recherche.

Keywords: *identification; Building; Globalization; crisis; future.*

* المؤلف المرسل: نور الصباح عكنوش، ahmed.messaoudi@univ-biskra.dz

مقدمة:

يعتبر الأمن الثقافي من صميم الأمن القومي بالنظر إلى التحديات الرمزية والمعنوية التي تهدد إستراتيجيا سلم القيم في المجتمعات والدول وتنتج أزمات على صعيد الهوية، والتي تصبح هدفا لإختراقات مستمرة تعيد تشكيلها بعد تفكيكها في نسق معياري جديد.

من هذا المنطلق يتمظهر الإشكال التالي: **كيف تتشكل الأزمات الهوياتية الجديدة إنطلاقا من سرديات ما بعد الحداثة** ؟

الفرضية: كلما كان البناء الثقافي متجانس كلما تحقق الأمن الهوياتي.
منهج الدراسة: للإجابة على الإشكالية الإشكال المطروح وإختبار الفرضية المقترحة تم إعتماد المنهج البنائي.

1. إبستمولوجية التحول:

هل المشكلة في أزمة الهوية أم في هوية الأزمة ؟

على تخوم هذه الجدلية يتمظهر خطاب الأنا والآخر بحثا عن الحقيقة التي تأبى إلا الغياب وراء مضامين مختلفة، وهو ما لخصه الشاعر الفلسطيني محمود درويش في شعره تحت عنوان رمزي، "في حضرة الغياب".

في كتابه أزمة الهويات يقول كلود دوبار، ليست الهوية ما يبقى بالضرورة " متماثلاً " بل نتيجة " مماثلة "، وعليه الهوية تعني الاختلاف كما تعني في نفس الوقت الانتماء, وهاتان العمليتان أساس مفارقة الهوية (دوبار 2000،ص.210).

قد ترتبط القضية بإشكالات النموذج و التراث و النسق في حد ذاته لكن النقاشات التي تتناول الهوية مازال يحيط بها غموض و التباس، وهنا يقول عبد الله العروي في كتابه "مفهوم الحرية " أن الهوية هي تكوين ثقافي في إطار بشري يتبلور عبر مراحل زمنية طويلة تمتد لقرون (العروي 1981، ص.8).

لنتفق أن الهوية معناها: تعريف الإنسان نفسه فكرًا وثقافة وأسلوب حياة، أو هي مجموعة الأوصاف والسلوكيات التي تميز الشخص عن غيره، وقد ذكر بعض المتتبعين لأصول كلمة (الهوية) أنَّ أصلها من كلمة (هو) وهو ضمير منفصل يعود على شخص ما، ولهذا فمن الخطأ أن ننطق كلمة الهوية بفتح الهاء بل بضمها فنقول (الهُوية) وليس (الهَوية)، فالهوية إذاً هي المرجعية أو الخلفية التي تتشكل منها الشخصية الإنسانية. (عبد العزيز، 2013)، ولكن كيف نتفق على وجود الأزمة ؟.

لقد ظهر مصطلح "أزمة الهوية" في دراسات عالم النفس الدنماركيّ "إريك إريكسون" الذي اعتقد أنّ تشكيل الهوية وتكوينها هو عملية ديناميكية تتغير وتنمو طوال الحياة حيث يواجه الفرد تحدّياتٍ جديدة ويختبر تجارب مختلفة في جميع مراحله العمرية، وبالتالي، فالهوية عند إريكسون هي واحدة من أكبر الصراعات التي يواجهها ويختبرها الفرد وتتغير بفعل التجارب الحياتية والأدوار الاجتماعية المتعددة، مثل العمل والزواج

والإنجاب والسفر وغيرها ممّا يساعد على استكشاف جوانب مختلفة من النفس في مجالات الحياة (أبو فيزان، 2018).

لقد أثبتت تحليلات إريكسون إضافةً إلى ما جاء به الطبيب النفسيّ السويسري "كارل يونغ" بأنّ أزمات الهوية والتي في الغالب تكون كامنة ومخبّأة في النفس، قد تتحوّل إلى أنماط سلوكية شخصية مثل الانسلاخ التدريجيّ عن الذات لإرضاء الآخرين، والسعي إلى تحقيق وهم الانتماء. وحين يتعلّق الأمر بالعالم العربيّ، لا سيّما مع التغيّرات الجوهرية والسريعة الحاصلة في السنوات الأخيرة، تُعدّ أزمات الهوية أكثر تعقيدًا ولُبسًا من نظرية إريكسون ويونغ نفسيهما (أبو فيزان 2018، ص.2).

من الواضح أن أحد أهم التحديات الكبرى في القرن الحالي هو معالجة قضية الهوية، بوصفها حالة من حالات التعدد الهوياتي/الثقافي، وهي تأخذ في عالمنا المعاصر أشكالاً مختلفة تحت تأثير السياق التفكيكي لخطاب ما بعد الحداثة والذي أنتج تحولات في بنية وبيئة الهوية في حد ذاتها، خطاب أسئلة وليس خطاب أجوبة للأمم والدول والمجتمعات والأفراد وكلهم بصدد طرح الأسئلة اللامتناهية على الذات وعلى الآخر.

2. إطار التحليل:

يعتبر موضوع الهوية في بلد كالجزائر إشكالية حقيقية مرتبطة بتراكمات تاريخية وسياسية وثقافية أثرت سلبيا على بناء نموذج الدولة الوطنية ما بعد الكولونيالية، وهو ما شكل بؤرة تحليل على مختلف المستويات في إطار مقاربة أنساق التغريب التي إخترقت مؤسسات الدولة والمجتمع نحو إنتاج ثنائية نخبوية ولغوية داخل الإدارة والشركات والعلاقات الإجتماعية مما أضر على التنمية والهوية نتيجه تشوه مسارات الإزدواجية الهوياتية في النموذج الجزائري من منظور قيمي وبيئي حدد طبيعة النظام السياسي والمجتمعي والفكري.

بالعودة للهوية كمعنى وكمبنى نكرر التذكير بأنها إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم، فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنتيه، وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءا من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها (مهدي، د. ت، ص.3).

الهوية بالتالي ذات صلة بالوعي مهما تفككت وتوزعت دلالاتها وأبعادها فالهوية القومية أو الهوية الدينية أو الهوية العرقية أو الهوية الطائفية، هي نماذج للهوية الضيقة، ولكن هناك نموذج أوسع من ذلك عندما تكون الهوية جامعة لأكثر من قومية وأكثر من دين أو أكثر من عرق وأكثر من طائفة، وبهذا تتجاوز الهوية إطارها الضيق لتعبر عن المشترك الأوسع في الانتماء، وهي الهوية الوطنية التي تنتمي لجغرافية وتاريخ ومصالح مشتركة.

فاللغة مثلا تعتبر أقدم تجليات الهوية، أو لنقل "هي التي صاغت أول هوية لجماعة في تاريخ الإنسان، إن اللسان الواحد هو الذي جعل من كل فئة من الناس "جماعة" واحدة، ذات هوية مستقلة، ويزداد الاهتمام باللُّغة والهوية معا، ويشيع الحديث عنهما، في المنعطفات أو المفاصل التاريخية في حياة الجماعات

وهي منعطفات أو مفاصل ليست من نوع واحد، فقد يكون منعطفًا أو مفصلا حضاريا إيجابيا نحو الحضارة والتقدم، وقد يكون سلبيا تتعرض فيه للانكسار، وتغزوها رياح التشتت والانطماس، وربما الغياب عن ساحة الفعل والتأثير، في كِلا الحالين تبرز قضية اللغة، وقضية الهوية، وفي الغالب يتم الربط بينهما إلى درجة أنهما يكادان يصبحان شيئا واحدا.

وإذ يجد بعض الكتاب، إن الهوية الوطنية مقوما له دلالته في مذهب إنساني جديد، فهي ليست جوهرا ميتافيزيقيًا أبديا قبليا، وليست ((معطى)) محددا مسبقا وليست تراثا محتوما لا حول عنه مقذوفا به من الماضي ومنيعا لا يؤثر فيه البعد الزمني، ولا المتغيرات التاريخية، بل هي واقع دينامي تأريخي زمني، لجسد تعاد صياغته وتشكيله وتنميته عبر الزمان و المكان والإنسان.

إن الهوية الوطنية لا تكتسب مقدرتها على البقاء فضلا عن مصداقيتها إلا بـ:

1- مقدرتها على التطور والتفاعل مع المعطيات الاجتماعية السياسية والثقافية والتاريخية في إطار تسويات كبرى داخل الجماعة الوطنية التي تنتج الأمة.

2- وعيها لهذه الخصوصية المرنة والانفتاح والاستجابة النقدية.

بخصوص مفهوم الأمة كمعطى مركزي فقد تمظهر مفهوم الأمة في الجزائر حول تناقضات جذرية في اللسان والإنسان من جهة وفي منظومة النخبة والإدارة من جهة أخرى، مما جعل السمة الأساسية في هذا الإطار هي الثنائية أو الإزدواجية في بناء التنمية بمفهومها الحضاري، حيث ظهرت القضية الثنائية إلى الوجود في الستينيات من القرن الماضي، وذلك في سياق التحولات الجذرية التي عرفتها البلدان المغاربية في القرن العشرين، ونشوء الدولة الحديثة في المنطقة نتيجة التدخل الاستعماري، مع ما رافق ذلك من تحوّلات عميقة على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وهو ما أدى إلى بروز سؤال الهوية أول مرة في المنطقة كتعبير عن المخاض العسير لتلك التحوّلات المابعد كولونيالية المؤلمة على المستوى البنيوي على صعيد التاءات الثلاث :

ت: **تجانس**

ت: **تفاعل**

ت: **تسوية**.

المطلوب هو رؤية الهوية من داخل الإنسان وليس حوله أو في محيطه من أرقام ووثائق وجدران؟

التجربة الجزائرية كإطار تحليلي حبلى بالأفكار والنخب والأبعاد التي يمكن أن نبني عليها أحكاما ومنطلقات وحتى تصورات لمستقبل الدولة والمجتمع ليس من منظور جدلي بل تنموي نحو مشروع حضاري في ظل اكراهات العولمة المادية و المعنوية.

3. سرديات الخطاب و الواقع:

بالنسبة للأفراد و المجتمعات في الفضاء اللاغربي فالموضوع الهوياتي بمدركاته الكلية يجعلهم تحت تهديدات إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المنفردة ويجعلهم في مجال التبعية الكاملة للحضارة الغربية وهنا يصبحون امام أسئلة هيكلية وإيديولوجية5 وأمنية ونفسية بما يعيق التنظيم الاجتماعي، السياسي والإداري والاقتصادي والتنموي في بلدانهم حيث يجب معرفة ما إذا كان عليهم إتباع البلدان الغربية في التنمية على عيوبها وإعادة إنتاج نفس المنهج في الإنتاج والاستهلاك والتنظيم أو نقد (حسين 2008، ص.25) هذه المناهج نقدا جديا والخروج بقاعدة تنموية جديدة أكثر تلاؤما مع القدرات والمتطلبات القيمية والبيئة المحلية .

إن ظهور أجهزة الإدارة العامة (ابن نبي 1970، ص.111) مثلا والتي تمثل أدوات تنفيذ خطط ورؤى الحاكم عبر التاريخ لم تكن وليدة الصدفة أو الارتجال، ولكنها كانت دوما تعبيرا عن حاجة المجتمعات البشرية رغم اختلاف حضاراتها ومراحل تطورها, و أي إرادة سياسية تعمل أو تريد العمل خارج هذه الحقيقة التاريخية سيكون مآلها الفشل وهو ما حدث على مستوى آداء الحكومات الذي لا يرقى في دول الجنوب لأحلام وآمال وأهداف الشعوب وهو ما نلحظه في الدول المابعد كولونيالية والتي قدمت لشعوبها نماذج مستوردة في الإصلاح أعادت من خلالها إنتاج نفس البنى والهياكل الموروثة عن النسق الإستعماري القديم في الخدمة العمومية والخطاب السياسي والتنمية بصفة عامة دون قطيعة حقيقية مع الماضي بصوره و أنماطه السلبية.

النتيجة ظهور هويات جديدة أو بديلة لا مركزية تحاول تقديم أجوبة تتماهى وتحولات الداخل والخارج السريعة جدا.

لقد طرح عالم الاجتماع التركي "علي كازانجكييل " سؤالا آخر ذا صلة لكنه أكثر أهمية عندما قال: "لماذا تسعى التكوينات الغير أوروبية التي لا تمر بظروف إجتماعية مماثلة للمجتمعات الأوربية إلى خلق الدولة الحديثة بدلا أن تبحث عن أنماط خاصة للدولة مستوحاة من خبرتها التاريخية الخاصة "؟.

إن التجارب التنموية العالمية، تمت بعيدا عن الإنسان وضمن ضغوطات تاريخية وسياسية معقدة لم تساهم في بلورة منظومة حضارية أصيلة تشعر الفرد بالآمان وتحسه بالإطمئنان لحاله ولمستقبله لأن الإنتماء كعنصر هام لم يتحقق لدى الأفراد تجاه المؤسسات أو المشاريع والخطط وحتى الخطابات التي توجه إليهم، والتي لم تكن واضحة و حاسمة ومرضية بالنسبة للمجتمع فدخلت عوامل الشك والحذر تجاه القرارات والعمليات الرسمية نتيجة تذبذب الرؤية ومركزيتها، مما يجعل مصيرها الإهمال أو المقاومة من طرف المواطن فلا هي تعبر عنه و لا هي تفهمه ولا هي تريحه أو تنمي فيه الشعور بأنه جزء من التنمية، فيطور نفسه ويزيد من طاقته الإيجابية ويتنبأ بتفاؤل للغد ويرضى عن الوضع العام ومنه يخطط لإنفاقه وينظم مدخوله ويضبط حاجياته ويوزع إمكانياته المادية والمعنوية بشكل دقيق يجعله مطمئن للأسعار وللأخبار وآمن للتقلبات والأحداث القادمة لأنه ذاتيا يشعر بنوع من الحماية له ولأسرته ولمجتمعه من المجهول وبالتالي يركز على عمله وآداءه و إنتاجه وآفاقه دون تردد وتخبط و فوضى.

بهذا المعنى يبدو أن عملية توطين الهوية بالأدبيات والآليات الغربية تصطدم بإشكاليات ذهنية وسلوكية وبنيوية معقدة، فتكون النتيجة أننا نكون أمام واقع منقسم بين تغريب وإغتراب عن المجتمع بمعنى

القيم و المعايير، وذلك إلى درجة عدم تجاوب الأفراد المعنيين بقضايا التنمية وسياسات الإصلاح المختلفة رغم أنها تمسهم بشكل مباشر في يومياتهم ومستقبلهم ويرفضون الإستجابة لها.

لذا تحدد الاعتبارات البيئية، ديناميكيات التغيرات الإدارية والاجتماعية التي تجري فيها التفاعلات النفسية والثقافية والذهنية المختلفة والتي تنتج نموذجا ناجحا أو فاشلا ينتمي له الأفراد أو لا، وهو التحدي الحقيقي الذي تواجهه الدول النامية خاصة مع تأثير العولمة، ككتلة قيم و أفكار تعيد بناء هوية الأمم وفق منطلقات لغوية وسلوكية وفكرية وحياتية عابرة للحدود وللمجتمعات وللبيروقراطيات، وتشكل من هذا المنظور هندسة دخيلة على الكيانات الإجتماعية والإدارية التقليدية والتي تجد نفسها في خطر وغير آمنة أمام التمظهرات الشبكية للعولمة.

خاتمة:

إن العولمة ترتبط بفضاءات شبكية ما فوق وطنية متعددة تفكك الوظائف التنموية للإدارة التقليدية أمام طبيعة النظام الحكومي العالمي الذي يحاول أن يعكس توازنات سياسية، بيئية وتنظيمية للدول داخل نطاق اختصاص غير محدود مما ينعكس سلبيا على أدبيات التنمية ومفرداتها المتوارثة منذ منتصف القرن 20 الماضي، بل ويجعلنا نتحدث عن ما بعد التنمية في الدول المتخلفة التي تعاني هشاشة في النسق التعليمي والهوياتي نتيجة تأثير المركزية الأوروبية والتي تشكلت في القرن 19 وبقيت أثارها البنيوية حتى الآن وهو المعطى الذي أثر على الإنسان في هذه الدول وجعله لا يتفاعل مع مخرجات الإدارة بالشكل المطلوب .

من مضامين ذلك، ما قاله الفيلسوف "أرنولد توينبي" حول جوهر الحضارة عندما اختصرها في مقولتين: التحدي والاستجابة، وبين التحدي والإستجابة يوجد الفرد باحثا عن ما يجعله يضمن قوته وعلاجه وتقاعده وأمنه أي ما يضمن آمانه في نهاية المطاف.

قائمة المراجع

1. ابن نبي، مالك. (1970). *المسلم في عالم الاقتصاد*، بيروت: دار الشروق.
2. أبو فيران، غيداء. (2018). *أزمة التباس الهوية والاغتراب عند الشباب العربيّ*. نون بوست. https://bit.ly/3kTI6yb
3. حسين، فايز. (2008). *سيكولوجيا الإدارة العامة*. القاهرة: دار الكتاب.
4. دوبار، كلود. (2000). *أزمة الهويات تفسير تحول*. بيروت: المكتبة الشرقية.
5. عبد العزيز، شريف. (2013). *ازمة الهوية في عصر العولمة*. ملتقى الخطباء. https://bit.ly/3v2qYe8
6. العروي، عبد الله. (1981). *مفهوم الحرية*، (المجلد 1)، المغرب: المركز الثقافي العربي.
7. مهدي، حبيب صالح. (د.ت). دراسة في مفهوم الهوية. *مجلة الدراسات الإقليمية*، (العدد5)، ص-3.